من ثمرات أخلاق الأنبياء عليهم السلام

الجمعة ١٨/ ٣/ ١٤٢٨هـ

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ... أمَّا بَعْدُ:

فَمَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

لَمَّا كَانَ أَنْبِيَاءُ الله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَفْضَلَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ.. كَانَ مِنْ لَازِمِ ذَلِكَ أَنَّ أَخْلَاقَهُمْ أَحْسَنُ الأَخْلَاقِ وَأَزْكَاهَا وَأَطْيَبُهَا وَأَعْلَاهَا، وَكُلُّ مُسْلِمٍ يَحْرِصُ عَلَى التَّخَلُّقِ بِشَيْءٍ مِنْ تِلْكَ الأَخْلَاقِ العَظِيمَةِ، إِلَّا أَنَّ دُعَاةَ النَّاسِ لِلْخَيْرِ هُمْ أَوْلَى النَّاسِ بِسُلُوكِ مَسْلَكِ تِلْكَ الأَخْلَاقِ؛ لِأَنَّ دَعْوَةَ النَّاسِ إِلَى الخَيْرِ هِيَ وَظِيفَةُ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فَإِذَا امْتَثَلَ دَاعِي الخَيْرِ مَنْهَجَ أَخْلَاقِهِمْ فِي دَعْوَتِهِ جَنَى مِنْ رِيَاضِ أَخْلَاقِهِمْ وَآدَابِهِمْ ثِمَارًا كَثِيرَةً.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

فَمِنْ ثَمَرَاتِ التَّخَلُّقِ بِأَخْلَاقِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: امْتِثَالُ قَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام: ٩٠]. وَنَحْنُ مَأْمُورُونَ بِالِاقْتِدَاءِ بِنَبِيِّنَا ﷺ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ

﴿ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]؛ فَاقْتِدَاءُ الْمُسْلِمِ بِالنَّبِيِّ ﷺ اقْتِدَاءٌ بِجَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

وَمِنْ ثَمَرَاتِ التَّخَلُّقِ بِأَخْلَاقِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: زِيَادَةُ الإِيمَانِ؛ ذَلِكَ لِأَنَّ أَخْلَاقَهُمْ ـ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ـ تَجْمَعُ فَضَائِلَ الأَعْمَالِ وَالأَقْوَالِ، وَالتَّمَثُّلُ بِفَضِيلَةٍ وَاحِدَةٍ يَزِيدُ إِيمَانَ العَبْدِ، فَكَيْ بِفَضَائِلَ كَثِيرَةٍ؟ نَاهِيكَ إِذَا كَانَتْ تِلْكَ الفَضَائِلُ مِنْ أَعْمَالِ الأَنْبِيَاءِ وَأَقْوَالِهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

وَمِنْ ثَمَرَاتِ التَّخَلُّقِ بِأَخْلَاقِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: البُعْدُ عَنْ تَلْبِيسِ الشَّيْطَانِ وَأَلَاعِيبِهِ وَمَا يُحَسِّنُهُ لِلْعَبْدِ مِنْ سَيِّئِ الأَقْوَالِ وَالأَعْمَالِ؛ ذَلِكَ أَنَّ العَبْدَ إِذَا تَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ثُمَّ أَرَادَ الشَّيْطَانُ تَزْيِينَ سَيِّئِ العَمَلِ لَهُ تَذَكَّرَ العَبْدُ أَنَّ الأَنْبِيَاءَ أَبْعَدُ النَّاسِ عَنْ ذَلِكَ فَتَتَيَقَّظُ نَفْسُهُ وَيَزْجُرُهَا وَيَرْدَعُهَا عَنِ الإِقْدَامِ عَلَيْهِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

وَمِنْ ثَمَرَاتِ التَّخَلُّقِ بِأَخْلَاقِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: حُسْنُ التَّعَامُلِ مَعَ الْمَدْعُوِّينَ وَالنَّاسِ عُمُومًا، يُبَلِّغُونَهُمْ رِسَالَاتِ الله لَهُمْ، يُرَغِّبُونَهُمْ فِي الخَيْرِ، يُحَذِّرُونَهُمْ مِنَ الشَّرِّ، يَتَحَمَّلُونَ عِنَادَهُمْ رَجَاءَ هِدَايَتِهِمْ، وَلَا يَشْمِتُونَ بِهِمْ عِنْدَ وُقُوعِ العُقُوبَاتِ عَلَيْهِمْ... تِلْكَ الأَخْلَاقُ النَّبَوِيَّةُ إِذَا تَذَكَّرَهَا دُعَاةُ الخَيْرِ وَلَزِمُوهَا عَظُمَ أَجْرُهُمْ وَكَذَا نَفْعُهُمْ، وَكَانُوا قُدْوَةً لِغَيْرِهِمْ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

وَمِنْ ثَمَرَاتِ التَّخَلُّقِ بِأَخْلَاقِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: حُسْنُ التَّعَامُلِ مَعَ القَرَابَةِ بَدْءًا بِالوَالِدَيْنِ وَالأَوْلَادِ، فَيُعْنَى الْمُسْلِمُ بِبِرِّ وَالِدَيْهِ كَمَا كَانَ الأَنْبِيَاءُ كَذَلِكَ؛ يَصِلُ رَحِمَهُ وَيَتَوَدَّدُ إِلَيْهِمْ كَمَا كَانَ الأَنْبِيَاءُ كَذَلِكَ.

وَهَاهُنَا يُقَالُ: إِنَّ مَنْ أَهْمَلَ شَأْنَ وَالِدَيْهِ وَأَوْلَادِهِ لِأَجْلِ التَّفَرُّغِ لِدَعْوَةِ النَّاسِ أَوْ لِطَلَبِ العِلْمِ.. أَنَّ تِلْكَ الأَعْذَارُ وَاهِيَةٌ مَرْدُودَةٌ؛ ذَلِكَ أَنَّ الأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هُمْ أَحْرَصُ النَّاسِ عَلَى دَعْوَةِ النَّاسِ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ أَبَرُّ النَّاسِ بِوَالِدِيهِمْ وَأَكْثَرُ النَّاسِ عَنَايَةً بِأَوْلَادِهِمْ وَبُيُوتِهِمْ.

شَاهِدُ الْمَقَالِ: أَنَّ إِهْمَالَ أَمْرِ الوَالِدَيْنِ وَالأَوْلَادِ مُنَافٍ لِأَمْرِ الله تَعَالَى مُجَانِبٌ

لِأَخْلَاقِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَلِذَا مَعَ كَثْرَةِ مَشَاغِلِ النَّبِيِّ ﷺ.. مِنِ اسْتِقْبَالِ وُفُودٍ وَقِيَادَةِ جُيُوشٍ وَعِيَادَةِ مَرْضَى وَتَشْيِيعِ جَنَائِزَ وَتَقْسِيمِ غَنَائِمَ وَصَدَقَاتٍ وَزَكَوَاتٍ.. وَمَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ كَانَ قَائِمًا بِأَمْرِ أَهْلِهِ وَبُيُوتِهِ أَتَمَّ قِيَامٍ، كَمَا قَالَ ﷺ: «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي**».

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

وَمِنْ ثَمَرَاتِ التَّخَلُّقِ بِأَخْلَاقِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: زِيَادَةُ مَحَبَّتِهِمْ فِي القُلُوبِ؛ ذَلِكَ أَنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا أَمْعَنَ النَّظَرَ فِي عَظِيمِ أَخْلَاقِ الأَنْبِيَاءِ وَكَيْفَ كَانُوا أَعْظَمَ قُدْوَةٍ فِي طِيبِ أَلْفَاظِهِمْ وَحُسْنِ أَفْعَالِهِمْ مَعَ مَا أَصَابَهُمْ مِنْ عِنَادِ الْمُعَانِدِينَ وَأَذِيَّتِهِمْ... إِذَا تَذَكَّرَ الْمُسْلِمُ ذَلِكَ زَادَ حُبُّهُ لِلْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَزَادَ رَغْبَةً فِي سَمَاعِ سِيَرِهِمْ وَفَضَائِلِهِمْ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

وَمِنْ ثَمَرَاتِ التَّخَلُّقِ بِأَخْلَاقِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: تَعَمُّقُ مَعْنَى القُدْوَةِ فِي النُّفُوسِ؛ فَإِذَا اسْتَشْعَرَ الْمُسْلِمُ تِلْكَ الأَخْلَاقِ النَّبِيلَةِ وَالخِصَالِ الشَّرِيفَةِ وَكَيْفَ أَثَّرَهَا عَلَى أَصْحَابِهَا وَالرَّائِينَ لَهَا وَالسَّامِعِينَ عَنْهَا.. إِذَا اسْتَشْعَرَ الْمُسْلِمُ

ذَلِكَ تَعَمَّ مَعْنَى أَثَرِ القُدْوَةِ فِي نَفْسِهِ وَلَزِمَ ذَلِكَ السَّمْتَ وَالهَدْيَ لِيَنْفَعَ نَفْسَهُ أَوَّلًا وَيَنْفَعَ غَيْرَهُ ثَانِيًا، فَالقُدْوَةُ الفِعْلِيَّةُ دَعْوَةٌ مُؤَثِّرَةٌ، فَكَيْ إِذَا ضُمَّ إِلَيْهَا القُدْوَةُ القَوْلِيَّةُ مِنْ طِيبِ الأَلْفَاظِ وَحُسْنِهَا.

مَعَاشِرَ المُسْلِمِينَ:

وَمِنْ ثَمَرَاتِ التَّخَلُّقِ بِأَخْلَاقِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: مَعْرِفَةُ مَكَانِ النَّقْصِ فِي النَّفْسِ؛ ذَلِكَ أَنَّ أَخْلَاقَ الأَنْبِيَاءِ مِرْآةٌ صَافِيَةٌ تَكْشِفُ لِنَاظِرِهَا حَسَنَ أُمُورِهِ وَسَيِّئَهَا، فَإِذَا عَرَضَ المَرْءُ أَخْلَاقَهُ وَتَصَرُّفَاتِهِ عَلَى مِرْآةِ أَخْلَاقِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَرَفَ ـ بَلْ تَيَقَّنَ ـ بِمَا يَلْزَمُ مِنَ الأَخْلَاقِ وَبِمَا يُجَانِبُ مِنْهَا، فَجَمِيعُ ظُرُوفِ حَيَاتِهِ وَأَطْوَارِهَا مُجْتَمِعَةٌ قَدْ مَرَّ بِالأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَعْظَمُ مِنْهَا وَأَشَدُّ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يُفَارِقُوا حَسَنَ الأَخْلَاقِ فِي سَرَّائِهِمْ وَضَرَّائِهِمْ مَعَ عَامَّةِ النَّاسِ وَخَاصَّتِهِمْ.

مَعَاشِرَ المُسْلِمِينَ:

وَمِنْ ثَمَرَاتِ أَخْلَاقِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: الحَذَرُ مِنَ العُجْبِ وَالرِّيَاءِ وَالبُعْدُ عَنْ أَسْبَابِهِمَا وَلُزُومُ سَبِيلِ الإِخْلَاصِ للهِ تَعَالَى، وَبَيَانُ ذَلِكَ أَنَّ دَاعِيَ الخَيْرِ إِذَا أَقْبَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ وَتَكَاثَرَتِ الجُمُوعُ عَلَيْهِ فَرُبَّمَا تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ وَيَرْغَبُ فِي

سَمَاعِ مَدْحِهِمْ وَثَنَائِهِمْ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ أَبْوَابِ تَلْبِيسِ الشَّيْطَانِ، لِكِنْ إِذَا تَذَكَّرَ أَخْلَاقَ الأَنْبِيَاءِ وَهَيْ كَانُوا أَخْلَصَ النَّاسِ لله تَعَالَى مَعَ مَا أَظْهَرَهُ اللهُ تَعَالَى لَهُمْ مِنْ آيَاتٍ عَظِيمَةٍ أَبْهَرَتْ أَقْوَامَهُمْ وَأَدْحَضُوا حُجَجَ الْمُعَانِدِينَ، وَمَعَ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى الْمُخَالِفِينَ لَهُمْ مِنَ العُقُوبَاتِ الْمُتَنَوِّعَةِ، وَمَعَ كُلِّ ذَلِكَ كَانُوا عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَخْلَصَ النَّاسِ لله وَأَنْزَهَ النَّاسِ وَأَبْعَدَهُمْ مُجَانَبَةً لِلرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ...

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ

الحَمْدُ لله...

مَعَاشِرَ المُسْلِمِينَ:

وَمِنْ ثَمَرَاتِ أَخْلَاقِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: الدِّفَاعُ عَنْهُمْ وَعَدَمُ التَّهَاوُنِ بِالقَدْحِ فِي آحَادِهِمْ وَلَوْ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ؛ فَالعَاقِلُ تَأْنَفُ نَفْسُهُ أَنْ تَرْضَى بِالقَدْحِ فِي المُسْلِمِ المَسْتُورِ، فَكَيْفَ بِمَنْ ظَهَرَ فَضْلُهُ مِنْ عَامَّةِ المُسْلِمِينَ؟ فَكَيْفَ بِعُلَمَائِهِمْ؟ بَلْ إِذَا كَانَ مِنَ الدِّيَانَةِ الدِّفَاعُ عَنْ عُلَمَاءِ السُّنَّةِ المَشْهُودِ لَهُمْ بِالعِلْمِ وَالفَضْلِ فَكَيْفَ يَكُونُ الشَّأْنُ فِي قُدْوَةِ العُلَمَاءِ وَمَصَابِيحِهِمْ وَهُمْ أَنْبِيَاءُ الله وَرُسُلُهُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؟!

مَعَاشِرَ المُسْلِمِينَ:

وَمِنْ ثَمَرَاتِ أَخْلَاقِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: البُعْدُ عَنْ أَبْوَابِ اليَأْسِ وَالقُنُوطِ وَالحَذَرُ مِنْ تَلْبِيسِ الشَّيْطَانِ وَتَثْبِيطِهِ؛ فَإِذَا قَدَّمْتَ نَصِيحَةً لِأَحَدٍ فَرَدَّهَا وَلَمْ يَقْبَلْهَا فَلَا تَيْأَسْ مِنْهُ وَلَا مِنْ غَيْرِهِ مِمَّنْ يَسْتَحِقُّ النُّصْحَ، بَلِ اسْتَمِرَّ فِي دَعْوَةِ المُقَصِّرِينَ بِعِلْمٍ وَرِفْقٍ، وَلَوْ قُدِّرَ عَدَمُ اسْتِجَابَةِ الأَكْثَرِينَ لَكَ فَتَذَكَّرْ أَنَّ بَعْضَ

الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مَعَ طُولِ مُدَّةِ حَيَاتِهِ لَمْ يَسْتَجِبْ لَهُ إِلَّا قِلَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ، كَنُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [هود: ٤٠].

بَلْ إِنَّ بَعْضَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لَمْ يَسْتَجِبْ لَهُ أَحَدٌ البَتَّةَ كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ عَنْ نَبِيِّنَا ﷺ: «**يَأْتِي النَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ، وَيَأْتِي النَّبِيُّ وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ، وَيَأْتِي النَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَيَأْتِي النَّبِيُّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ**»، وَمَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ كَانُوا عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مُسْتَمِرِّينَ فِي دَعْوَتِهِمْ لِأَقْوَامِهِمْ عَلَى أَحْسَنِ سِيرَةٍ وَأَصْدَقِ سَرِيرَةٍ، فَكَيْ َ بِمَنْ يَغْرَقُ فِي بَحْرِ اليَأْسِ وَالقُنُوطِ مِنْ أَوَّلِ مَرَّةٍ أَوْ مَرَّاتٍ؟!

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِأَسْمَائِكَ الحُسْنَى وَبِصِفَاتِكَ العُلَى أَنْ تَهْدِيَنَا لِأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ، لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْفِ ْ عَنَّا سَيِّئَهَا لَا يَصْفِ ُ عَنَّا سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ.

اللَّهُمَّ كَمَا حَسَّنْتَ خَلْقَنَا فَحَسِّنْ أَخْلَاقَنَا..

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الأَخْلَاقِ وَالأَهْوَاءِ وَالأَدْوَاءِ.